الفكر كأداة للمفاضلة بين مشروعات التصميم الحضري

د. هشام محمد جلال أبو سعده

المستخلص

إذا كان الفكر بداهة هو العامل الحاسم في إضفاء صفة الأفضلية على كل ما في الوجود، فإنه بالتبعية والضرورة يمكن أن يكون هو الأداة الفاعلة في المفاضلة بين مشروعات التصميم الحضري. أما المسألة البحثية التي يناقشها هذا العمل فكامنة في أن ما يقدمه مجال ممارسة المهنة في الوقت الراهن من أعمال بادية في واقع العمران ولا تلقى قبولاً في مقابل أعمال أخرى لها الأفضلية عند التلقي مبعثه إغفال حالة التفكير، وأن هذا القبول أو الرفض يمكن الحكم عليه من خلال ما يعرف بمؤشرات واعتبارات التفضيل، والتي يأتي إعمال الفكر فيها كجزء أساس للارتقاء بالعمل إلى مرتبة التفضيل لدى المختص والمجتمع. ومن هنا يهدف هذا العمل إلى بيان إمكانية وكيفية طرح الفكر باعتباره يلعب الدور الفاعل كأداة للمفاضلة بين مشروعات التصميم في العالم العربي. تقدم هذه الورقة دراسة تجريبية (استقرائية / استقصائية) تبدأ ب: أ) مقدمة عن استكشاف آراء المختصين حول العلاقة بين الفكر والتفضيل، ب) استكشاف حقيقة الفكر باعتباره حالة غائبة عند المختصين، ج) الاستعانة بمنهج المشاهدة غير المباشرة (تحليل المضمون، والاختيارات السابقة) لإثبات أن طرح الفكر ضرورة أساسية في مجال الاختصاص، ومنها يمكن الوصول إلى مؤشرات واعتبارات للتفضيل المرتكزة على الفكر باعتباره حالة إنسانية، د) قراءة تصويرية موجزة في سجل بعض عمران العالم العربي للتعرف على مؤشرات واعتبارات التفضيل.

١ – المحتوى: حول ماهية الفكر والتفضيل

إن التفضيل بين مشروعات التصميم الحضري هو ناتج أن المفضل بينهم (preferable/ favorites) يحمل أفكاراً باطنية يوظفها المصمم بحسه الفكري، ليستشفها المتلقي بالتبعية ويستشعرها بحسه الداخلي. وأن افتقاد عمران مجتمعاتنا الآني لهذا التواصل بين المصمم والمشاهد المتلقي هو ناتج القصور في قدرة الأول على توليد الأفكار التي تحمل حالة بعث الحياة في العمران فتجعله يحمل إحساسات يستشعرها المتعايشون معه. وأن العمران لا يمكنه أن يحمل تلك الحالة إلا إذا كان وراءه فكر.

يبدو أن الصفة الإنسانية المعروفة "بالتفضيل" انتقلت لتبدو ظاهرة في ميدان الاختصاص، بكل ما تحمله تلك الصفة من تباينات بادية في استشعار المجتمع لحالات من القبول أو الرفض تجاه جميع أو بعض مشروعات البناء المنفذة حديثاً في عمران بعض مدن المجتمعات العربية. إذ يشعر الفرد– وفق إدراكه المعرفي– بحالة ليس فقط من الغربة (فقدان الهوية)، ولكن أيضاً برد فعل شعوري سمته هي صعوبة قراءة العمل، ومن ثم عدم إدراكه تلك الصفة، وعلى الرغم من رحابة مؤشراتها الداعية للتفضيل (بالقبول أو الرفض)، إلا أنه قد تكون واحدة من دعامتها الأساس نبع من فقدان قدرة البعض على التواصل أو التلاقي بينه وبين المعنى الباطن الراكن في بعض العمران المشيد، وهو الأمر الذي لم يكن ليستشعره بقدر في مشروعات شيدت في عصور متقدمة، أو في ذات العصر، ولكنها كانت تحمل ما يحرك الشعور الداخلي فيدركها المتلقي، ويحدث بها الشعور فالإعجاب، ومن ثم التفضيل.

– حيث تفرض حياة المدن في العصر الحديث على مستعمليها تداعيات ظروف مجتمعية: اجتماعية/ ثقافية واقتصادية وسياسية، دون أن يكون لديهم تلك المساحة المعروفة (برفاهة) القدرة على القبول أو الرفض، بل وتدعهم تحت وطأة استسلام دائم للمطروح من منتجات البناء المشيد، من قبل مصممين مختصين متعددي الأهواء والاتجاهات والإمكانات، وهو الأمر الذي ينتج عنه مشروعات متنوعة، قد لا يمكن معها تحقيق الرضا للكل، إلا أنه، وعلى الرغم من كل ذلك التنوع يبقى في واقع الحال بعض منها مفضلاً لدى مستعمليه دون الأخرى، كما تظل تلك المشروعات في ذاكرة عمران المدن بما تحمل من دلالات تمايز وهوية وانعكاسات بادية في رضا المتلقي، خاصة بعدما تتحول لتصبح ملكية عامة، وحينها يحق للكل استعمالها أو رفضها.

– ثمة ظاهرة عامة في مجتمعات العمران العربي تكاد تكون

د. هشام محمد جلال أبو سعده
كلية العمارة والتخطيط – جامعة الملك فيصل

حقيقة واقعة تشير إلى تفضيل المستعملين لمشروع محدد عن غيره من مشروعات أخرى، وأن مؤشرات التفضيل البادية من قبل المختصين/ المستعملين ناجمة عن حمله للعديد من الاعتبارات التي تجعله مفضلاً بشكل أو بآخر. ولما كانت تلك الظاهرة إنسانية بحتة، فهي تحتاج إلى مراجعة للتعرف على مؤشرات واعتبارات ذلك التفضيل، وتبيان الأهمية النسبية لعناصرها الفاعلة لذلك من وجهة نظر المصمم والمتلقي معاً، مع الأخذ في الاعتبار:

أ) إن لفظة المفضل هنا على المستويين المجتمعي العام (preference)، والشخصي الفردي (favorite)، لاتعني أنه الأحسن (the best).

ب) كما أنه في كل الأحوال، لا يمكن الحكم على أفضلية مشروع من منطلق إنه الأكثر ارتياداً، فالإشغال الكثيف لا يعني أنه المفضل، فقد يكون الأكثر قرباً أو اتصالاً، أو أمناً، أو اتساعاً، أو يتضمن ذكريات، أو الأقل كلفة.

اعتمدت هذه الورقة في إطلاقها صفة "الظاهرة المجتمعية العامة" على مسألة المفاضلة بين مشروعات الاختصاص على نتائج دراسة استقصائية محدودة أُجريت في العام (٢٠٠٦م)، وضمت حلقات نقاش، ومقابلات شخصية، في مجتمعات المنتسبين لمدارس معمارية متنوعة في كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك فيصل، بالمملكة العربية السعودية، ودارت الحوارات حول:

أ) مدى صحة الافتراض بأهمية وجود مؤشرات/ اعتبارات تمكن من قياس الأفضلية بين مشروعات التصميم الحضري، وجاءت نسبة القبول بصحة الافتراض (١٠٠٪).

ب) ترتيب الآراء عن المؤشرات (انعكاساً لما يشعر به المتلقي تجاه العمل وفق ثقافته واستيعابه للمنتج) حيث جاء كالتالي:

الارتباط المجتمعي: الشعور بالانتماء للعمل والتصريح بالإعجاب. الارتباط القومي: الإحساس بتحقيقه للذات من خلال عكسه لمعنى المواطنة، ارتفاع درجة الارتباط النفسي: ذكريات- أهواء، العاطفة الباطنية: دون تفسير منطقي. الارتباط الاقتصادي: انخفاض كلفة الارتياد، المشاركة والمساهمة، العناية والرعاية والإحساس بالملكية.

ج) الاعتبارات المطلوب من المصمم تحقيق انعكاساتها التي جاءت كالتالي:

الندرة/ الانفراد/ التمايز، تحقيق الذات، الوجود والديمومة والقدرة على الاستمرار، مراعاة القيم الإنسانية، مراعاة الاتزان البيئي، تلبية متطلبات الرضا الوظيفي (سهولة الوصول- سهولة الاستعمال- تعدد النشاطات)، الجمال النسبي، توافق المظهر والمحتوى، وجود فكرة/ فكر / فلسفة.

د) مدى انشغال بال المتلقي بمسألة التفضيل، فتراها عاكسة لواقع المجتمعات العربية وعشقها لألف التفضيل، أنه الأكبر والأول والأضخم في الشرق الأوسط وعلى مستوى المنطقة والعالم، وجاءت بعيداً عن معنى المفاضلة من وجهة نظر هذا البحث.

هـ) ومن ثم فمسألة وجود فكر يدعم العمل كأساس للمفاضلة جاءت محبطة للآمال، إذ أنه يمكن أن يكون العمران له الأفضلية بشكل قاطع بدون وجود الفكر فيه، وثبت ذلك من تساؤل حول صحة وجود فكر من عدمه بأنه موضوع غير ذي بال، حيث لم تكن له أهمية متقدمة.

و) على الرغم من أن مسألة تعليم الفكر باعتباره أداة للتفضيل كان مهماً، إلا أن مسألة الفكر كأداة التفضيل الأولى بين مشروعات التصميم الحضري لم تثبت صحتها من خلال المقابلات، وبما أنه بالفكر يمكن دعم حالة الحوار المتنامي بين الإنسان والعمران، وإنه إذا كان عمران المدن مرآة المجتمعات؛ إذن فهو من حاملات الأفكار، والدافع لتنشيط الحوارات، والمؤكد لإدامة المكان وفق أفكار أطرافه- المعد والمتلقي- معاً.

بدت فرضية البحث مقبولة منطقياً من الناحية المرجعية، حيث تدور حول ...أن عمليات المفاضلة النفسية لدى المتلقي العادي/ غير المختص، والعلمية لدى المختص الممارس قائمة على تغليب الفكر عند الانتقاء/ المفاضلة بين مشروع عن مشروع آخر، إلا أن الفكر كما يبدو من تحليل بعض مشروعات التصميم الحضري المعاصرة ضمن عمران العصر الحاضر يبدو وكأنه الحالة الغائبة عند التصميم والتقييم.... كما أنها تحمل استفساراً جديراً بالاختبار على المستوى المهني المحلي. وعليه يفرد هذا العمل مساحة لاختبار تلك الفرضية من خلال:

أ) أن الأفكار هي التي تعطي للعمران قبولاً لدى المستعملين، وهي الركيزة الأساس التي تجعل هناك معنىً للقبول والرضا والاكتفاء لدى المستعمل العادي/ غير المختص للمكان. فكل عمل لا يحمل فكراً يصبح من الصعوبة بمكان تقييمه، أما إن كان يحمل فكراً، فإنه عندها فقط، يفسح العمران المجال لقدرة الفرد على تقييمه حتى لو لم يكن مختصاً.

ب) العمران منتج إنساني هدفه تلبية متطلب إنساني يجمع بين الاحتياج الوظيفي والمعنوي، وكلما كان يحمل أفكاراً كلما بات المجال ميسوراً لتحقيق الرضا المعني. فهذا عمل حول دور الفكر في التفضيل الناتج عن الرضا المعنوي عند الفرد المستعمل للعمران.

ومن هنا يتدرج هذا العمل في تتبعه لفرضية العمل بداية من:

أ) فصل عن الفكر باعتباره حالةالتفضيل الغائبة، وكيف أنه بالفكر يحدث الرضا المعنوي.

ب) بيان دور الفكر كأداة للتفضيل واستكشافه في صورة المؤشرات، واستخلاصها سيكون وفق آراء المتلقين غير المختصين من ناحية، وعلى هيئة الاعتبارات المستخلصة وفق آراء المهنيين الممارسين المختصين من ناحية أخرى.

ج) الانتقال لعرض أمثلة تصويرية لدور الفكر في جعل العمران مفضلاً بين الماضي والواقع الحالي.

٢ - أطروحة فكرية: هل الفكر هو حالة التفضيل الغائبة؟

إن الخوض في مسألة من قبيل الفكر أهو حاسة أم ملكة؟

يرد الأمر إلى نقاش لا طائل من ورائه. لذا يُحتمل اعتبار الفكر حالة إنسانية فريدة لا يقوم بها إلا الإنسان. ولا تحدث إلا بعوامل إدراكه بالحواس مجتمعة مع الوجدان [١][٣][٤][٦]. حيث يمكن استخلاص تعريف الفِكْرُ بأنه محاولة معرفة الإنسان للأشياء من خلال التأمل والبحث المتروي في الخواطر التي تدور في الذهن وداخل العقل. والقصد هو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهولة. والتفكير هو سلوك ونشاط متأن ومهارة عقلية وجدانية معقدة تجاه المعلومات استجابة لتزايد عمليات المعرفة. وكل ذلك يتكون عبر منظومات التخطيط والاكتشاف والتحليل والتجريب والتعليل والفهم والإدراك والاكتساب والمعالجة. وخلال وظائف ذهنية مثل التذكر والتعميم والتمييز والمقارنة والاستدلال لموضوعات لها أصل في النفس البشرية. ومادته المعاني والمفردات والمدركات. أما إعمال الفكر فهو حالة إنسانية. إذ تبين أنه يتعدى كونه ملكة ذات علاقة بالنفس البشرية. من حيث كونه جامع للعديد من الملكات مثل المخيلة والميول والعواطف. فالملكة هي "صفة راسخة في النفس أوْ استعداد عقليّ خاصّ لِتَناوُل أعمال معيّنة بحذق ومهارة مثل المَلَكة العدديّة والملكة اللغويّة. وهي قوة طبيعيّة تجعل الإنسان أو الحيوان باتصال مع الأشياء الخارجة عنه بوساطة التأثيرات التي تحدثها هذه الأشياء عَلَيْه". كما أنه أي الفكر ليس خاصة إنسانية تميز فرداً دون فرد آخر. أو الشيء عن غيره. وهو أيضاً ليس حاسة: فالحواس فقط خَمْسٌ وهي البصر والسمع والشّمّ والذوق واللمس وكلها معروفة للعامة قبل الخاصة. ومن هنا يمكن وصف الفكر باعتباره حالة إنسانية بالفطرة والميلاد. فالإنسان مخلوق مفكر. ولا وجود لمخلوق آخر لديه تلك الحالة.

ومن ثم فإن اهتمام هذا العمل هو حالة الفكر الإنساني في مواجهة بين الإدراك مقابل السلوك (perception vs. behavior)؛ وتدور تلك المواجهة في محلين هما:

أ) الأدبيات المعرفية وثيقة الارتباط بميدان الاختصاص.

ب) الأدبيات المعرفية المختصة في ميدان التصميم الحضري ذاته.

٢ – ١ الفكر والإدراك مقابل السلوك في الأدبيات ذات الارتباط

تعد عملية الإدراك المرحلة المتقدمة من الإحساس بالموجودات في البيئة والتي يعمل فيها العقل كأساس يساعد على فهم البيئة من خلال صور ذات مدلولات ومعان محددة. وأن عملية تحول الأشياء المادية المرئية من مجرد صور لمرئيات إلى مدركات يستطيع الإنسان أن يفهمها كمعانٍ تماثل عملية تكون الخبرات الإنسانية خلال التراكم المعرفي للمعلومات المفردة والبسيطة إلى كل مركب ومعقد- وفقاً لزمن التجربة والخبرة- ومقدار التفاعل مع البيئة المحيطة. وغالباً ما تكون هذه الخبرات نتاجاً مباشراً للتفاعل بين النبضات الحسية القادمة من الموجودات في البيئة المحيطة. وعلى وجه الخصوص من الأشياء المفضلة عند الفرد. ووفقاً لحالته المزاجية والعقلية. وكلاهما يؤثران على عمليات تنظيمه للأمور. وشرحها. وإبرازها للمعاني والنتائج التي يفهمها خلال عملية الإدراك. حيث يأتي الإدراك في مراحله الأولى نتيجة لتلقي رسائل محددة من الموقف المحيط بالإنسان عن طريق الحواس ومنها إلى مواضع تلقي هذه المعلومات في مراكز باطنية في الدماغ البشري. وتليها مرحلة الفهم بالذهن الذي تتم فيها عملية تحويل صور المحسوس إلى انطباعات ذهنية. توفرها طريقة التفكير الذاتي الخاص بكل فرد نحو إدراكه لمعطيات الموقف من حوله. وفي مرحلة ثالثة تابعة يبدأ التفاعل بين الإنسان وعناصر المحيط المُدْرَك[١].

أما السلوك (behavior) فهو "مضمون فكري اقتناعي يُصوغ التصرف ويصبغه بهيئة متفردة تختلف من مكان إلى مكان آخر ومن بيئة إلى بيئة أخرى. كما يرتبط السلوك في الغالب بجماعات محددة مرة. وبالفرد مرة أخرى على مستوى الجماعات الإنسانية المتكاملة" [١٥]. ووفقاً للمدخل السلوكي تشير النظرية المعرفية إلى (... أن أي رد فعل إنساني لا يمكن حدوثه إلا بعد إعمال الفكر. فالمعرفة العلمية تعتمد على خبرة الحواس. وهو ما يقابل العقلانية (rationalism) التي تؤكد على الدور الذي يلعبه العقل في اكتساب المعرفة. كما تؤكد بالتبعية على قدرة العقل على الاستنباط- الاستدلال- من المبادئ الأولية...). [١]

٢ – ٢ بين الفكر والإدراك مقابل السلوك في أدبيات ميدان الاختصاص

لا يخفى أن عملية الرؤية لها مراحل تنتهي بضرورة تدخل عملية الفكر. إلا أنه لا يمكن للإنسان أن يقسم عملية التفكير بين النظر منفرداً وعمل الحواس مجتمعة. فعمل المخ يكون دائماً ضمن منظومة متكاملة لجماع تجربة الإنسان الذاتية الناتجة عن الرؤية. ولكن دون الحواس الأخرى تظل المسألة مشوشة. ويتم تعديلها دون أن يشعر البالغون من خلال باقي الحواس. وإن كانت تلك الحواس لا تعمل بكفاءة فالاكتمال يكون من خلال الشرح والتحليل للمحيطين بهؤلاء البالغين. وتظل هناك حالة إعمال الفكر مع الوجدان لتكمل الصورة الذهنية التي لا تنتج عن الرؤية فقط ولكنها نتيجة لكل تلك العوامل مجتمعة. ولعل ثمة التباس بين مفهوم الرؤيا (vision) والرؤية الناتجة عن الإبصار (seen/see) فهناك من له رؤية بعيدة فهو حالم (visionary). ويرى الأشياء وفق ما تنقله له الذاكرة وفكره الخاص. بينما هناك من ينظر فقط ليرى الموجود أمامه دون أية لمحة فكر فيه. وعلى الرغم من اعتماد بعض المنظرين في ميدان الاختصاص على حاسة البصر في عملية الإدراك إلا أن العمل الحالي ينحى منحنى التركيز على الفكر باعتباره حالة للإدراك الواعي. وينوه إلى أنه حالة غائبة عند العديد من المختصين [١٠][١٢][١٦]:

- يقول (نيومان) (Newman) في مؤلفه "الفراغ المعرَّف Defensible Space" في العام (١٩٧٢م) [١٦]: (...أما عن ماهية الأشياء التي يرغب الفرد أن يراها في البيئة الخارجية كالمناظر

واتجاهات الرؤية الجميلة نسبياً ومحددات الانطباعات البصرية- أو يرغب في ألا يراها كالمناظر غير المرغوبة والأماكن الموحشة- على الرغم من التحديد المسبق للأنساق والمبادئ العامة- فإنه يمكن استنتاجها عن طريق المقارنة بين الموجودات الطبيعية في البيئة، وطريقة اختيار الفنانين لبعض منها لتكون أعمال جمالية؛ وتصويرها من وجهة نظرهم، ومثلها تلعب خبرة المصمم دوراً هاماً في تحديد المدركات المقبولة أو المرغوبة والتي يتمنى الفرد أن توجد لتعمل من بيئته مكاناً ملائماً له...)، وتبين مقولة (نيومان) هنا أن الفكر هو الذي يلعب الدور الفاعل في انتقاء الأشياء التي يرغبها الفنانون، (أو حتى الفرد العادي) لتكون مُبهجة له، أو حتى مسببة لحالة من السعادة أو التعاسة، وهو ما يؤكد أهمية الفكر.

- يشير (أرنهيم) (Arnheim) في مؤلفه "التفكير البصري Visual Thinking" في العام (١٩٨٤م) [١٠]: (...أن الإبصار يعني رؤية الأشياء والمواقف من خلال علاقات، وهو المعني بالتعرف على الخصائص الذاتية للأشكال والمجسمات سواءً أكانت معزولة أم متصلة عن تلك التي تقوم بالتشويش عليها أيضاً...)، ويضيف في اقتباس آخر (... والذاكرة البصرية هي اصطلاح يعبر عن مجموعة من المعلومات أو البيانات التي تأخذ شكلا بصريا أو تتكون على شكل صور بصرية، ولأن أفضل وأكثر الأساليب شيوعا للتفاعل بين الإدراك والذاكرة يحدث في النطاق المعرفي للأشياء التي يتم إبصارها...)، ويكمل في موضع ثالث (... وعلى الرغم من أن الذاكرة البصرية لا تمثل مهارة في حد ذاتها بل تمثل نتيجة أو محصلة لتفاعل مجموعة من المهارات، إلا أن عملية بناء الذاكرة البصرية تحتاج لتخطيط ومهارة استراتيجية في ترتيب المعلومات البصرية وفى ربطها ببعضها البعض، وفى ربط الصور البصرية بكل من مواقف التصميم والمواقف الإنسانية المختلفة، وفي استعادتها وفي الحفاظ عليها، فالصور التي تستقر في الذاكرة التصويرية، تفيد في التعرف على (interpret) الصور البصرية الجديدة وتفسيراها، وفي الإضافة (supplement) إلى الذاكرة البصرية...)، في كل الاقتباسات الفائتة أغفل (أرنهايم) أن التفضيل مهمة خاصة بالفكر وليس النظر، حتى لو كان النظر أول الفكر، إلا أن هناك عمليات أخرى تشارك فيها كل الحواس الظاهرة والباطنية، مثل الوجدان، لا يمكن إغفالها حال الشعور بتلقي المنتج، وكونه يحصر المسألة تجريداً في النظر فهو أمر مشكوك فيه.

- يذكر(تشينج) (Ching) في مؤلفه المبتكر والخاص بعمليات الرسم وعلاقتها بالإبداع، "الرسم عملية إبداعية drawing a creative process" [١٢] : (...تخلط العملية الإبداعية بين الرسم والتفكير وكأنهما حاستان متساويتان، فحينما يعتمد الرسم على الرؤيا المستقبلية الواضحة (clear vision) فهو يعتمد على التفكير أيضاً، والتفكير بدوره يبني ويحقق القدرة على الفهم، فالرسم بذلك لا يمكن فصله عن النظر وعن التفكير، إلا انه يشير إلى سيادة حاسة البصر حيث يقول (... فالنظر هو أفضل حواسنا تطوراً، وهو الحاسة التي يعتمد عليها البالغون اعتماداً أساسياً في أغلب أنشطتهم اليومية...)، وكلام (تشينج) هذا قد جانبه الحق فالتفكير ليس حاسة مماثلة لحاسة البصر أو أي من الحواس الأخرى (كما سبق التنويه إليه عن أن الفكر حالة)، إذ أنه لا يمكن المماثلة بين المختلفين في الجنس، أما الفكر فهو أساس متقدم عن الحواس لإدراك الأشياء مع الحواس الظاهرة والحواس المشتركة، وإذا أردنا أحد الحكم على إدراك البالغين في حياتهم اليومية فعليه أن يُدرج حالة إعمال الفكر بداية، والتي تعمل بصورة باطنية وغير مدركة وبتوازن أثناء تحرك الحواس مجتمعة، وليست فقط حاسة البصر، وتلك العملية هي التي تدفع إلى تكون الرؤيا الواضحة عند البالغين كما جاء في مبتدأ كلامه.

وخلاصة القول أن هناك ضرورة لإجراء دراسات تجريبية حول أن المفاضلة بين عمل وآخر يتجاوز مجرد الحكم وفق الإدراك الحسي المرئي، والمتتابعات الفراغية الحسية، أو حتى الإحساس بالحواس المشتركة والخيال، ولكن ثمة إحساس بالفكر أيضاً، إذ أن الإدراك الحسي عند الإنسان بالحواس مجتمعة لا مفرقة، إذ يبدأ بالحواس الخمس ومنها إلى الحواس المشتركة، فالباطنية بالفكر عن طريق القلب[١]، ومن هنا أشارت مراجعة الأدبيات المتخصصة السابقة في ميدان التصميم الحضري إلى أن الفكر كحالةإدراك تكاد تكون غائبة عند بعض المنظرين الغربيين، ولكنها ضرورية ويجب عدم إغفالها.

٣ - الفكر هو أداة التفضيل الأولى في أدبيات الاختصاص

هناك مقولة مفادها أن الفكر في علم الجمال له الدور الفاعل في حالة التفضيل عند الجنس البشري[١٢]، وعليه ترتكز الإشكالية هنا والتي تدور حول أن المفاضلة بين مشروعات التصميم الحضري محوره القدرة على إطلاق الأفكار ونقلها إلى تصورات ثم حقائق مادية ملموسة، وأن عدم الرضا عن بعض العمران العربي الحالي ناتج عن غياب الأفكار أو ضعف دورها في التأثير على المتلقي، ومن ثم يطرح هذا الفصل فرضيات المناقشة على النحو الآتي:

أ) إن الأفكار هي العامل الحاسم/ المسؤول عن تكوين وبناء رد فعل إنساني واعي سلوكي تجاه (إدراك) عمران محدد، وبها تحدث المفاضلة بين عمران وعمران آخر.

ب) إن الفكر هو أداة التفضيل الغائبة بين المؤشرات المستخدمة للتفضيل في ميدان الاختصاص، والتي يغفل دورها المعد والمتلقي على حد السواء في الوقت الحاضر.

٣ - ١ طرائق الاستقصاء حول حالة التفضيل

تمثل صفة التفضيل حالة إنسانية عامة، أما البحث عنها للتعرف عليها في الحياة العامة وفي ميدان الاختصاص فيطلب رؤيتها في جانبين:

أ) إنساني فطري ذي ارتباط خاص بالمتلقي العادي/غير المختص، ويظهر رد الفعل في صورة المؤشرات (indicators) . وعلى الرغم من أنها مؤشرات إنسانية بحتة، وجرى العرف على أن يكون التقصي عنها من خلال استبانات نظرية معتمدة

على استطلاعات الرأي، إلا أنه ونظراً لطبيعة صعوبة ذلك الطرح على المتلقي غير المختص، قامت الدراسة على طريقة الاختيارات السابقة لمعرفة آراء المتلقي الضمنية، عبر بحوث تجريبية جاء فيه التفضيل ضمناً.

ب) إنساني علمي، له ارتباط بالممارسين المختصين، وتظهر في صورة الاعتبارات (factors) والمعايير (criteria)، وكلاهما له صفته العلمية التي يمكن تعلمها، أما استخلاصهما فسيكون بالاستعانة بطريقة تحليل المضمون، ومنها يمكن تحديد اعتبارات التفضيل، إذن يستهدف هذا البحث استخلاص (مؤشرات/ اعتبارات) التفضيل بالاعتماد على منهج الملاحظة بالمشاهدة غير المباشرة (indirect observation)؛ وتكون المشاركة فيه بالتعرف على آراء وقيم طرفي الاستقصاء (المستعمل العادي/ الممارس المختص)، دون أي احتكاك مباشر بهم، ومن هنا يعتمد هذا البحث على طريقتين هما:

أ) الاختيارات السابقة.

ب) تحليل المضمون، وجدير بالذكر أن تركيز القراءة في الطريقتين السابقتين سيكون على نقاط محددة هي:

أ) الانطباعات الأولية.

ب) جوانب التفضيل المتكررة.

ج) بيان مدى تأثير الفكر على حالة التفضيل، على مستوى المكتوب أو على مستوى التعبير الحسي، وضمنه المرئي في العمران.

الطريقة الأولى - الاختيارات السابقة تهتم بتحليل الانفعالات الاعتيادية عند المتلقين غير المختصين، تجاه حدث محدد، ثم البحث حول ما يحدث باستمرار عن ملامح الحدث الواقع فعلياً لتحديد ماهية العادة، فعلى سبيل المثال يمكن التعرف على عادات الناس في رضاهم و/أو عدم قبولهم لعمران محدد من خلال متابعة سلوكياتهم الحياتية وتعاملهم معه، ومواقفهم الحياتية تجاه هذا العمران؛ ولمدة زمنية محددة؛ تمكن من تحديد النشاطات والانفعالات مع مراعاة تغير الانفعالات مع الزمن والمكان، بعد التأكد من أن هذه الانفعالات يقوم بها المستعملون لأنها من اختيارهم ووفق رغباتهم وليست مفروضة عليهم، وسيعتمد البحث هنا على الرصد بالمراقبة فقط لكل التغييرات الحادثة في عمران المجتمع وفقاً لرغبة المستعملين لملاءمة متطلباتهم، وهو ما يعني باطنياً عدم الرضا عن الحالة الأولى، وذلك من خلال تحليل ورقة بحث منشور لمعرفة نتائج ورؤى الباحث حول هذا الموضوع:

- في دراسة استهدفت التعرف على "مدى تفاعل السكان مع المظهر الخارجي المتماثل للوحدات السكنية في مشاريع الإسكان العام بالمملكة العربية السعودية"[٥]، أشار (باهمام) إلى أن تلك المشروعات هي تطبيق كمي ونوعي حول "فكرة الإنتاج بالجملة"، ونقلاً عنه أن تلك الفكرة قديمة في التاريخ وامتدت لتصل إلى عصرنا الحالي لتحقق عدة أهداف منها: خفض التكلفة ورفع مستوى الجودة، وما يعني هذا البحث هنا هدف ثالث هو توفير الانسجام المعماري بين كل أجزاء المشروع الذي يمكن أن يكون من أحد أسباب الرضا، وكانت النتيجة مجموعة من التعديلات أجراها المستعملون على مكان السكن، وبدأ الباحث اختباره للحكم على الرضا في القسم الثاني من استمارة استطلاع الرأي على:

أ) مستوى الرضا عن المسكن بعد الانتقال إليه مباشرة وبعد إجراء التعديلات.

ب) مدى القناعة بالمظهر الخارجي للمسكن وعلاقته بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي

ج) وجهة نظر السكان حول توحيد الشكل والمظهر الخارجي، إذن يدور بحثه حول فكر محوري كما يشير هو أنها نقلاً عن (كوبر) (Cooper) [١٣] (... إن رضا السكان عن مساكنهم وإحساسهم بالانتماء إليه يزداد كلما تمكن السكان من تعديل وحداتهم السكنية لتعكس هويتهم الذاتية...)، ويعزز ذلك بمقولة (الكسندر) (Alexander) [١١] (... أن لدى الناس رغبة في زخرفة وتزيين ما يحيط بهم، كما أن السكان لا يحسون بالراحة في مساكنهم إلا إذا تمكنوا من تغييرها لتفي باحتياجاتهم وتعبر عن طموحاتهم، ولا يتمكنون من ذلك ما لم يتمكنوا من تملك مساكنهم...).

- وجاءت نتائج البحث من ناحية الإحساس بالرضا ومن ثم التفضيل ارتكازاً على ثلاثة مؤشرات هي:

أ) الملكية، التي تكون الإحساس بالأمان والطمأنينة، ومن ثم تحقق التطلعات والطموح (الانتماء).

ب) إظهار الهوية الذاتية والشخصية وسهولة الاستدلال على المكان.

ج) المعاني الرمزية والغايات النفسية وعلاقتها بالإضافات الوظيفية، إذن يمكن القول أن الفكر هو ملكة التفضيل المحورية في بحث (باهمام)، على الرغم من عدم التمكن من قراءة المقصود بالمعاني الرمزية والنفسية صراحة، ولكن أمكن استشفافها من بين طيات المتن؛ وهي (... المعنية بالإحساس الباطني لدى السكان من حيث درجة الإعجاب المتنامي بالمكان كلما كان هناك مرونة في الحد من التنميط أكثر وضوحاً...)، الأمر الذي يشير إلى أن الفكر في هذا النوع من الإسكان يلعب دوراً محورياً في درجة التفضيل والشعور بالرضا، على الرغم من أنه لم يأتِ ذكره صراحة من كل المشتركين في الاستبانة.

الطريقة الثانية- تحليل المضمون وتهتم بعملية التحليل النوعي والكمي لمحتوى الوثائق المدونة عبر فترات زمنية مختلفة ومتتابعة، وهو منهج يساعد عند دراسة وسائل الاتصال ومعرفة طبيعتها ومعناها العام، ويمتاز هذا المنهج بالكشف عن القيم والآراء والاتجاهات الثقافية التي تسود في المجتمع- ماضيه وحاضره- بهدف تصوير الأوضاع المجتمعية والثقافية نحو حاسة التفضيل تحديداً، اعتمد هذا البحث في الوصول إلى النتائج على دراسة تحليلية استقرائية في واحدة من أسس تحكيم المسابقات ذات الصلة بميدان الاختصاص والمنشورة في وثائق مستقلة، أو في الدوريات المتخصصة، واختار البحث:

١ - مسابقة معمارية لها وزنها وسمعتها المعروفة في الميدان.

٢ - ورقة بحث علمية فائزة بجائزة أولى مناصفة، وكان أساس الاختيار هو أن يكون قد بان فيهما موضوع التفضيل على أساس عامل الفكر صراحة.

١ - تساهم جائزة الأغاخان في تشجيع/ والتعريف بأفكار للبناء تخاطب احتياجات وتطلعات المجتمعات المسلمة، كما أنها ترحب بالتميز المعماري في مجالات البناء المختلفة، ولذا يمكن أن تكون مرجعاً لبيان مؤشرات مكنت من صياغة بعض اعتبارات التفضيل التي قدمها الرواد المختصون/ ذوو المكانة المهنية عند اختيارهم للمشروعات المستحقة لجائزتها في دورتها التاسعة للعام (٢٠٠٤م)، حيث كانت المنافسة بين (٣٧٨) مشروعاً تم معاينتها لتصفيتها إلى (٢٣) مشروع أُختير منها (سبعة) فقط للجائزة [٨].

- بني التفضيل على احتياج أساسي هو (...البحث عن طريقة تمكن من اكتشاف وفهم وتفسير تحديات العمارة في العالم الإسلامي، الذي يواجه الحداثة بجميع تنوعاتها...)، ومنها طرحت لجنة الحكم بعض القضايا الأساسية التي من خلالها يمكن القول أن هذا العمل مفضل هي:

أ) كيفية التعبير عن تعقيد التاريخ والذاكرة التاريخية للعمارة، وأنه من خلال التوفيق بين المعنى التاريخي والاحتياجات المعاصرة، يحتفظ المبنى بمدلول اجتماعي بدلاً من أن يكون مجرد مقصد سياحي.

ب) كيفية دمج المبادرات الخاصة في المجال العام الآخذ في الانبثاق، عن إظهار العلاقة المتوازنة بين المضمون الاجتماعي لمبادرة ما والتمثيل المعماري لتلك المبادرة.

ج) كيفية التعبير عن الشخصية الفردية في الأوضاع الاجتماعية المركبة، عن الوعي المتنامي وإدراك الشخصية في العالم الإسلامي، والتأكيد على الهويات الجماعية، وعن كشف تعددية التقاليد.

د) كيفية تناول القضايا الخاصة بالنفوذ والسلطة في المجالات العالمية للتكنولوجيا والثقافة والاقتصاد من خلال العمارة.

هـ) عن ترجمة الهويات العالمية إلى عمارة من خلال: التكنولوجيا المستخدمة، الوظائف الكامنة للبناء.

- وبناء على ما فات أمكنهم تحويل تلك القضايا لتصلح في مجال العمارة لتكون اعتبارات التفضيل/ الانتقاء بين المشروعات:

أ) الارتقاء بمعايير الجودة/ النوعية: الملاءمة بين القضايا المطروحة والتقنيات المعمارية.

ب) مراعاة التأثيرات البيئية- الاجتماعية والثقافية من خلال التوازن بين الهدف والتحقيق، والمدلول والشئ المادي، والوظيفة والاستخدام.

ج) تكامل المشاريع مع بيئتها.

د) انتقاد التقليد.

وعليه كانت إشادة لجنة الحكم بالمشاريع المختارة تحمل اعتبارات التفضيل التالية:

أ) الابتكار في التصميم عبر تميز الأفكار.

ب) وضوح التركيب المعماري الأنيق، وتحقيقه الانسجام مع المناخ والثقافة المحلية بالاستعانة بالطرق والمواد المحلية.

ج) المرونة والمتانة والمواءمة البيئية.

د) تجسيد حس الكمال والازدهار، التلاؤم مع المحيط الحيوي وتوقع الامتداد المستقبلي، والتكامل مع المجتمع القادم زمنياً.

هـ) توفير وفرة من المعرفة المعمارية مع الاحتفاظ بالفردية والتعبير عن طموحات المصمم.

و) التعبير عن دلالة/ دلالات مرجعية خاصة بالمجتمع الموجود فيه البناء.

ز) محترم في ذاته، مرحب بالحضور والمستعملين له.

ح) التعبير عن اتجاهات جديدة في البناء.

ط) الرمز إلى الطموحات المحلية والوطنية.

ي) الجمع بين الإبداعات التقنية.

ك) تحقيق الشكل الرشيق المستجيب بشاعرية للمحيط الأكثر اتساعاً من حوله.

ل) البساطة، وتلبية متطلبات الإضاءة الطبيعية.

م) أن يكون معبراً عن تطور المجتمع المعاصر، المنبثقة من تقاليد المجتمع المحلي ليدعم العالمية.

-٢ أشارت دراسة بعنوان "الرجوع إلى التشكيل المتضام لتحقيق التنمية المتواصلة بالواحات المصرية" [٧]، كما يبين (الجدول ١) أنه على الرغم من أن فكرة "المدينة ذات التشكيل المتضام" فكرة مستحدثة في الغرب إلا أنه أمكن تفعيلها في العام (١٩٩٠م) لتحقيق مبدأ التنمية المستدامة، (... بقصد التشبه بنمط المدن الأوربية التاريخية التي تحتوي على أنوية ذات كثافة سكانية وبنائية عالية مثالية للسكن والعمل في إطار من التفاعل الاجتماعي...).

وكانت اعتبارات التفضيل الغربية مبنية على تحقق التواصل والاتزان البيئي والاجتماعي والاقتصادي من خلال حجم مجتمعي مناسب للمدينة:

أ) يعمل على تشجيع التفاعل الاجتماعي وإحياء الحياة الحضرية.

ب) يتناسب مع مسافات السير وركوب الدراجات، ورفع كفاءة وسائل المواصلات العامة، والتقليل من استعمال السيارات الخاصة، ويقلل من مسافات السير.

ج) يخفض من التلوث الناتج عن الحركة الآلية ويوفر من الطاقة.

د) رفع الكثافات السكانية، وإعادة استخدام المرافق، تحسين اقتصاديات الخدمات. إلا أن تلك الاعتبارات بدت أنها غير ذات أهمية في عملية التفضيل، بل أنها تتعارض مع أفكار الحياة في الضواحي كما أن الكثافة السكانية العالية لها عيوب مثل اختناقات المرور والتكدس السكاني وزيادة التلوث الذي قد لا يوازي المكاسب المترتبة على توفير الطاقة، وأنه إذا كانت فكرة المدينة المتضامة تقوم على الاستفادة من الأراضي الفضاء فإن ذلك يتعارض مع فكرة المدينة الخضراء. إلا أنها في

	فكرة التصميم IDEA	فكر التصميم PHELOS-OPHY	مفهوم التصميم CONCEPT	اعتبارات التفضيل	في الفكر الغربي	في الفكر العربي
الفكر الغربي	مستحدثة في الغرب، أمكن تفعيلها في العام (١٩٩٠م) لتحقيق مبدأ التنمية المستدامة والرجوع إليه (... بقصد التشبه بنمط المدن الأوربية التاريخية التي تحتوي على أنوية ذات كثافة سكانية وبنائية عالية ممثالية للسكن والعملا في إطار من التفاعل الاجتماعي...		التشكيل العمراني المتضام التضام	التكثيف السكاني والبنائي	زيادة الارتفاع بالمباني على أقل رقعة ممكنة من الأرض	أ) احترام المقياس الإنساني في تشكيلات الفراغات وعلاقتها بارتفاعات المباني ب) تحقيق الاحتواء النفسي للسكان،
				تكثيف الأنشطة	الاعتماد على المواصلات العامة دون السيارة الخاصة، والتقليل من عدد الرحلات لتوفير الطاقة والحد من التلوث	زيادة الترابط والتفاعل الاجتماعي.
				التفرد/ التمايز		استمرار الثقافة المحلية وثبات نمط الحياة المتوافق مع ظروف الطبيعة الصعبة دون تكلف أو تطلع للكماليات المعيشية
				الظروف المناخية	توفير الطاقة	الحماية من قسوة الظروف المناخية.
الفكر العربي	ذات عمق تراثي (... مستمدة من نشأة المسجد والسوق وقصر الحكم في مركز العمران والتفاف باقي النشاطات حولها، الأمر الذي أدى إلى التشكيل المتضام المتوافق مع دعوة الدين للترابط الاجتماعي والحث على كثرة الخطا للمساجد...، كما كانت الأسواق التي تضم الأنشطة التجارية والمهنية عنصراً أساسياً في تشكيل المدينة العربية ومصدر تفاعلها الاجتماعي وحيويتها، والتي تمركزت بالقرب من المسجد وبجوار أهم مسارات الحركة...).	تحقق التواصل والاتزان البيئي والاجتماعي والاقتصادي		التلوث البيئي	الحد من تلوث الهواء الناتج عن استعمال وسائل الانتقال الآلي	
				الحركة والانتقال	يتناسب مع مسافات السير وركوب الدراجات، ورفع كفاءة وسائل المواصلات العامة، والتقليل من استعمال السيارات الخاصة، ويقلل من مسافات السير	
				المرافق العامة	رفع الكثافات السكانية، وإعادة استخدام المرافق، تحسين اقتصاديات الخدمات	
				أفكار تتعارض مع فكرة التخطيط المتضام ولا تفضله على مستوى الفكر، أو على مستوى التنفيذ	تتعارض مع فكرة الحياة في الضواحي الراسخة في أذهان الغرب...، كما أن الكثافة السكانية العالية لها عيوب مثل اختناقات المرور والتكدس السكاني وزيادة التلوث الذي قد لا يوازي المكاسب المترتبة على توفير الطاقة إذا كانت فكرة المدينة المتضامة تقوم على الاستفادة من الأراضي الفضاء فإن ذلك يتعارض مع فكرة المدينة الخضراء ومع فكرة الحياة في الضواحي	فكرة الحساسية البيئية العمران التراثي أساليب التخطيط النمطية للتعامل مع مشاكل المدن وامتداداتها بصفة عامة فكرة سيادة وسيطرة الحركة الآلية

جدول رقم ١: فكرة التشكيل العمراني المتضام أساس لتصميم مشروعات مجال الاختصاص [من إعداد الباحث]

المجتمعات العربية فكرة ذات عمق تراثي، مستمدة من نشأة المسجد والسوق وقصر الحكم في مركز العمران والتفاف باقي النشاطات حولها، الأمر الذي أدى إلى التشكيل المتضام المتوافق مع دعوة الدين للترابط الاجتماعي، كما كانت الأسواق التي تضم الأنشطة التجارية والمهنية عنصراً أساسياً في تشكيل المدينة العربية ومصدر تفاعلها الاجتماعي وحيويتها، والتي تمركزت بالقرب من المسجد وبجوار أهم مسارات الحركة.

أما اعتبارات التفضيل في المجتمعات الصحراوية فكانت مبنية على:

أ) تحقيق الاحتواء النفسي للسكان.

ب) استمرار الثقافة المحلية وثبات نمط الحياة المتوافق مع ظروف الطبيعة الصعبة دون تكلف أو تطلع للكماليات المعيشية.

ج) الحماية من قسوة الظروف المناخية.

في نهاية البحث يتبين أن فكرة التشكيل المتضام بما تحمل من معنى لمفهوم التضام تختلف الاعتبارات فيها وفق اختلاف متطلبات المجتمعات، فمفهوم التضام يعني:

أ) التكثيف السكاني والبنائي: وهو في الفكر الغربي يعني زيادة الارتفاع بالمباني على أقل رقعة ممكنة من الأرض، بينما يعني في الفكر العربي احترام المقياس الإنساني في تشكيلات الفراغات وعلاقتها بارتفاعات المباني.

ب) تكثيف الأنشطة: يعني في الفكر الغربي الاعتماد على المواصلات العامة دون السيارة الخاصة، والتقليل من عدد الرحلات لتوفير الطاقة والحد من التلوث، بينما يعني في الفكر العربي زيادة الترابط والتفاعل الاجتماعي.

٣ - ٢ الفكر هو أداة التفضيل: مؤشرات/ اعتبارات

إذن فالأداة الرئيسة التي يحملها المصمم إلى المتلقي ليحدث تلك الحالة من التفضيل لا تتحقق من وجهة نظر هذا البحث إلا بوجود فكر في المنتوج العمراني يكون قابلاً لأن يحمل بعض الصفات التالية: أن يكون هو ذاته، له هوية، وشخصية، فريد في نوعه وغير متكرر أي نادر الوجود، يملك روح وجوهر يمس مشاعر الآخرين عبر مضمون/ محتوى باطني له انعكاساته في الظاهر، ذو موضوع (subjective) شارح لمحتواه ومضمونه، لديه القدرة على الاستمرار على الرغم من متغيرات الزمان والحال ومعطيات المكان، متمايز بتلبية ما يلبي الاحتياج والضرورة والرفاهة، وأخيراً يعد ظاهرة خاصة في ذاته.

- أما اعتبارات التفضيل (preferable factors) المهنية وذات العلاقة بالفكر التي من المفترض أن تدعم العمل تجاه أن يكون مفضلاً، فهي التي يمكن للمصمم تطبيقها لرفع جودة المنتج ليكون حاملاً لمؤشرات التفضيل تجاه متلقيه، وكما يبينها(الشكل ١) هي:

١) اعتبارات إنسانية مجتمعية/ قومية (اجتماعية- ثقافية، سياسية، اقتصادية):

أ) إمكانية إظهار الهوية الذاتية والشخصية وتحقيق سهولة الاستدلال على المكان.

ب) دعم الإحساس بالملكية، المحقق للإحساس بالأمان

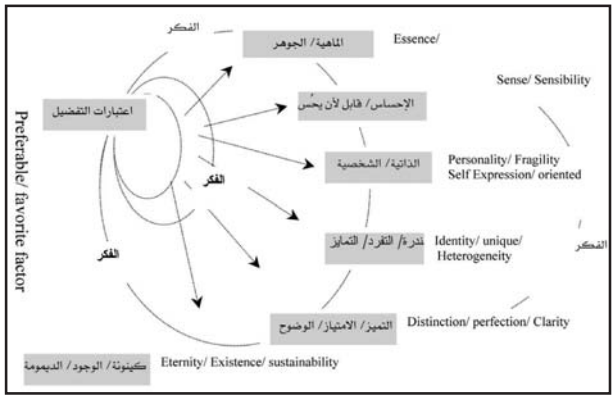

شكل رقم ١ : اعتبارات التفضيل [من إعداد الباحث]

والطمأنينة، ومن ثم تحقق التطلعات والطموح (الانتماء).

٢) اعتبارات معرفية:

أ) تقديم فكر جديد، غير متكرر لجعل العمل متفرداً ومتمايزاً.

ب) بعث فكرة لها القدرة على الاستمرار في مواجهة متغيرات العصر.

ج) التعبير بوضوح عن فكرة ذهنية في المنتج للعامة والخاصة لتسهيلة الإدراك المعرفي بالعقل.

د) تمكين المتلقي من قراءة المقصود بالمعاني الرمزية والنفسية صراحة.

٣) اعتبارات مهنية/ احترافية، وذات العلاقة بتحقيق التمايز والاكتمال النسبي:

أ) دعم وجود المعاني الرمزية والغايات النفسية ورفع درجة علاقتها بالإضافات الوظيفية.

ب) توفير رؤية (vision) للمتلقي تمكنه من الإحساس بالعمل وقراءته، تحسين درجة المشاركة الفعلية، أي إمكانية قبول المشاركة.

- مؤشرات التفضيل (preferable / favorite indicators) الإنسانية العاكسة لمدى تواجد فكر في العمل موضوع التلقي، وذات العلاقة بتأثيرات الفكر على المتلقي يمكن القول أنها: الدلالات الصريحة/ غير الصريحة التي يمكن استشعارها لدى المتلقين تجاه عمل محدد عبر إشارات الإعجاب المتكرر والمتنامي الناتج عن الإحساس الذاتي/ الداخلي للمتلقي بالارتياح:

أ) إما أن تكون لديه أسباب قوية متعلقة بتلبية الاحتياج الضروري والمثالي.

ب) إما دون أن يكون لديه أسباب وظيفية واضحة، وتكون أسبابه (معنوية) انطلاقها نابع من حمل المنتج العمراني للاعتبارات المذكورة من قبل، وكلاهما يتبعهما ملامح القبول (acceptable)، فالرضا (satisfaction)، والإعجاب (admiration)، ثم التفضيل، ومنها كما يبينها (الشكل ٢) هي:

١) ما له علاقة بتلبية الاحتياج النفسي/ المعنوي/الوجداني:

أ) الرغبة في التردد على المكان دائماً و/أو وقت الشعور بالضيق وفي حالات السعادة.

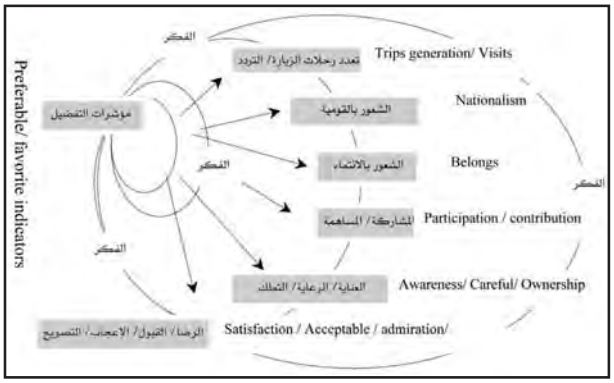

شكل رقم ٢ : مؤشرات التفضيل [من إعداد الباحث]

ب) الإحساس بالبهجة بعد الانتهاء من الزيارة والمشاهدة.
ج) اختياره ملتقى مع من يرغب أو يحب.
د) التوصية للآخرين بالزيارة والمعرفة.
هـ) المساهمة المادية والمشاركة في التطوير والتحسين دونما دعوة.
و) الرغبة في رفع درجة الانتماء عن طريق الإحساس بالملكية، حتى غير المباشرة.
ز) الإعلان والإعلام الصريح بالتعلق بالمنتج في كل الأحوال.
٢) ما له علاقة بتلبية الاحتياج الوظيفي/ النوعي، ويتبين ذلك من خلال تكرار التردد على المشروع دون غيره، على الرغم من:
أ) عدم تلبيته المثالية لرغبات المترددين، مثل: قلة النشاطات، صعوبات الوصول إليه، التزاحم، الضوضاء، التأثير البيئي غير المرغوب.
ب) انخفاض توافر اشتراطات وأسس الجمال وإن كان نسبيا.
ج) عدم توفير الانسجام العمراني بين أجزائه.

٤ - الخلاصة والرؤية المستقبلية

نظراً لمحدودية مساحة الطرح يقدم هذا العمل بعض خلاصات القراءة الفكرية المدققة حول تأثير الفكرة على عمران المجتمعات البشرية عبر لمحة من العصور التاريخية المتقدمة والمعاصرة كما يبينها (الشكل ٣)، (الشكل ٤) وتوثيقها في بعض النتائج هي:
أ) أن الأفكار هي مكمن التفضيل بين الأعمال.
ب) يلعب المصمم العمراني الدور الفاعل في تميز مشروعه العمراني من خلال قدرته على طرح الأفكار ونقلها إلى تصورات ثم حقائق مادية في مشروعات التصميم الحضري.
ج) ومن البديهي أنه ما دام العمران يقع ضمن العلوم الإنسانية التي يأتي الجمال فيها كمعيار غير وحيد للمفاضلة؛ أن تكون الأفكار هي محور الحكم على تميز المشروع العمراني:
- إن تفضيل عمران عن عمران آخر في المجتمعات الإنسانية منذ العهود المبكرة وحتى الآن هو نتيجة رد فعل طبيعي (سلوكي- إدراكي)، تعبيراً عن حالتي الرضا/عدم القبول (الظاهر والمعنوي) عند الإنسان، وهذا الأمر ليس له ارتباط فقط بالحواس الظاهرة أو المشتركة؛ ولكن يلعب طرح الفكر الدور المحوري في تكوين وعي الفرد بمحتوى محيطه العمراني.
- من الصعوبة بمكان الاتفاق على أن هناك مؤشرات لها أفضلية عن مؤشرات أخرى حينما يكون الحديث عن الإحساس الذاتي الكامن، والرغبة في قراءة ما في الباطن، أما بالاستناد إلى الفكر باعتباره حالة إنسانية فريدة فإنها تكون الأولى للتفضيل التي تساعد في تفعيل باقي المؤشرات، ومن ضمن مؤشرات المفاضلة الفكرية: أن يكون العمل قادراً على مخاطبة وعي المتلقي العادي، ونقل الأفكار الموجودة فيه إلى كل شرائح المتلقين، تكرار الإعجاب بالعمل على مر أزمنة متتابعة، ومن خلال تعدد الجنسيات والخلفيات الثقافية.
- إن المفاضلة بين عمل وآخر يتجاوز مجرد الحكم عليه وفق الإدراك الحسي المرئي والمتتابعات الفراغية الحسية، أو حتى الإحساس بالحواس المشتركة والخيال، ولكن هناك إحساس بالفكر أيضاً، إذ أن الإدراك الحسي عند الإنسان بالحواس مجتمعة لا مفرقة، إذ يبدأ بالحواس الخمس ومنها إلى الحواس المشتركة، فالباطنية بالفكر عن طريق القلب وحيث تشير مراجعة الأدبيات المتخصصة في ميدان التصميم الحضري إلى أن حالة الفكر تكاد تكون غائبة، ولكنها ضرورية ويجب عدم إغفالها.

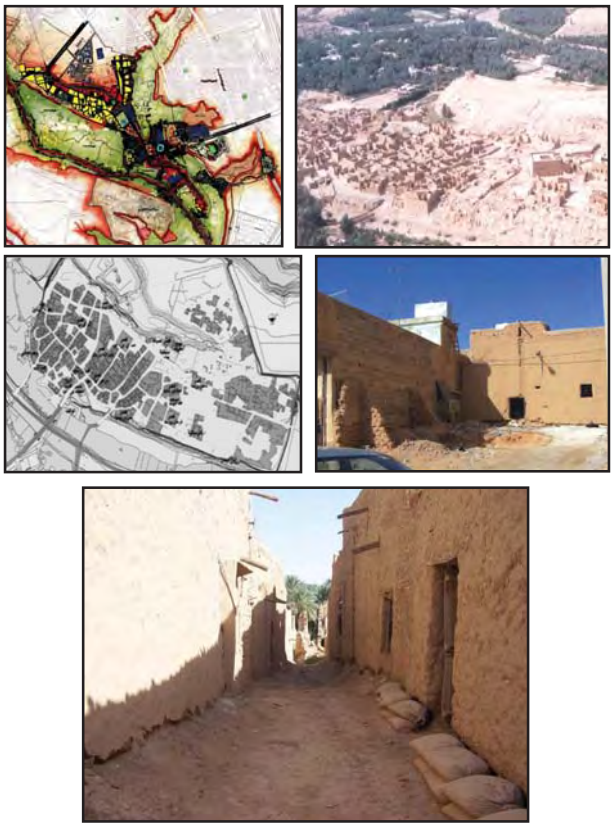

١ - منطقة الدرعية، الرياض، السعودية

٢ - حي الخزرج القديم، المدينة المنورة ، السعودية

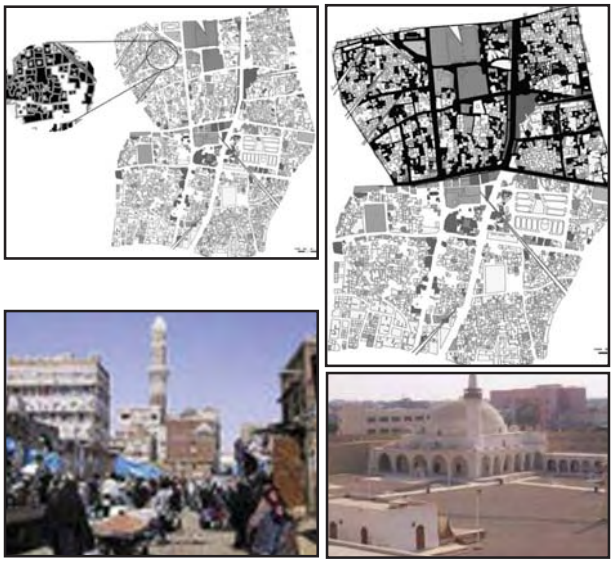

٣ - حي الكوت، الإحساء، السعودية

- المصدر: عن بحوث تجريبية لطلاب قسمي عمارة البيئة والتخطيط الحضري، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك فيصل، في العام (٢٠٠٤م)، في مساق اختياري: التصميم الحضري.

شكل رقم ٣: رؤى من التاريخ القديم: فكر التشكيل المتضام

لمحدودية مساحة الطرح سيكتفي العرض هنا بتقديم واحدة من الأفكار التي طرحت ضمناً وهي فكر التشكيل المتضام وكانت متمايزة على مستوى التطبيق بالاتفاق بين المختصين من خلال الحصول على تقدير الناس ومبررات التفضيل: أ) مدى وضوح الفكرة الذهنية في المنتج العمراني للعامة والخاصة، ب) بعث فكرة لها القدرة على الاستمرار في مواجهة متغيرات العصر، ج) تكرار التوثيق وفق إشارات الإعجاب المتكررة عن العمران المذكور، د) فكرة ذات عمق تراثي.

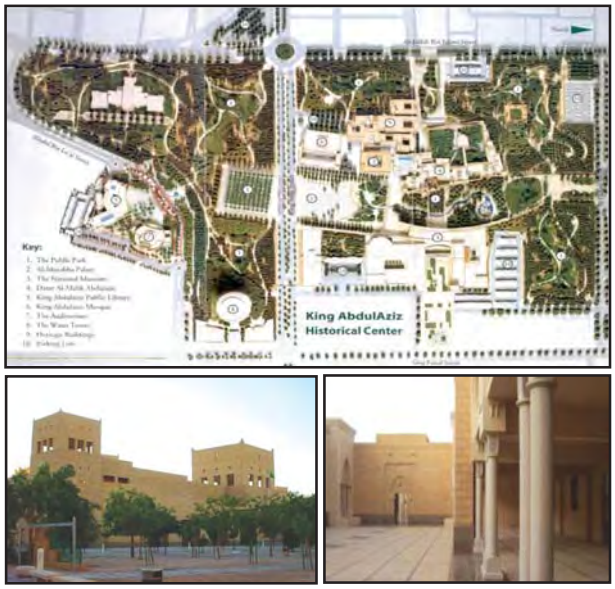

١ - تطوير منطقة قصر الحكم بالرياض - مشاهدات طلاب كلية العمارة والتخطيط السعودية

٢ - مكتبة الإسكندرية - مصر ، المعمار نرويجي (مكتب سنوهتا)، (٢٠٠٢) (جائزة الأغاخان ٢٠٠٤م) [٨]

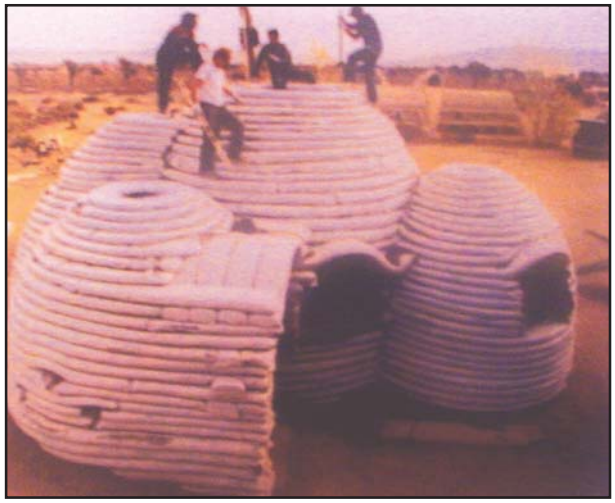

٣ - فكرة بناء المستوطنات الملبية لاحتياجات جماعة محددة عانت من أخطار الكورث الطبيعية ، نماذج أولية لملاجئ أكياس الرمل .. إيران.
المعمار: معهد كال - إيراث، نادر خليلي الولايات المتحدة الأمريكية، (١٩٩٢)
(جائزة الأغاخان ٢٠٠٤م) [٨]

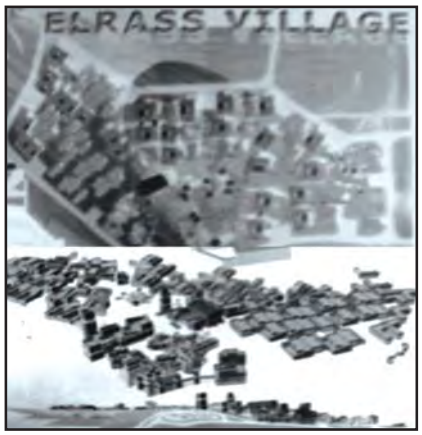

٤ - مسابقة قرية الراس، الريس، جيزان [٩]

٥ - تطوير منطقة السوليدير، بيروت، مشاهدات طلاب كلية العمارة والتخطيط ، السعودية

٦ - مخطط الجامعة الأمريكية - القاهرة
المعمار : د. عبدالحليم ابراهيم

شكل رقم ٤ : رؤى من الواقع المحلي العربي المعاصر: مشروعات فائزة في المسابقات المعمارية أعتبارات التفضيل

راعى الباحث في اختيار المشروعات السابقة أن تكون مبنية على أفكار حقيقية، وأن أساس بناءها نابع من إمكانية توفير رؤية vision للمتلقي تمكنه من الإحساس بالعمل وقراءته، وأهمها: أ) وعي المتلقي العادي بما يحمله العمل من فكرة، ب) سهولة التعبير شفاهة أو كتابة أو رسماً عن مضمون الفكرة التي في العمل،

ج) تكرار الإعجاب بالعمل على مر أزمنة متتابعة، ومن خلال تعدد الجنسيات والخلفيات الثقافية.

كل ما سبق يدعو إلى إفراد ورقات عمل مستقلة لعمل بحوث مستفيضة للوقوف على أهم مؤشرات/ اعتبارات المفاضلة المحتملة في أدبيات التنظير في هذا الميدان، وفيها يمكن مراجعة الترتيب المتوافق لها مع مجتمع عربي بعينه من خلال استبانة محققة واقعياً- زمنياً، تقرأ آراء المتلقين لمشروعات التصميم الحضري في الواقع الكمي والكيفي، وهنا يمكن مراجعة موضوع الفكر والتثبت من أهميته كأداة مفاضلة أولى من بين المؤشرات / الاعتبارات الأخريات.

المراجع العربية والأجنبية

[١] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (٢٠٠١م). مقدمة بن خلدون، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.

[٢] أبو سعده، هشام جلال، (٢٠٠٥م)، إشكالية العلاقة المركبة الفكرة- المفهوم في مراسم التصميم الحضري، مجلة الإمارات للبحوث الهندسية، كلية الهندسة، المجلد العاشر، رقم (٢)، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، الإمارات العربية المتحدة، (ص ص: ١ — ١٩).

[٣] الهويدي، زيد، جمال، جهاد (٢٠٠٣م)، أساليب الكشف عن المبدعين والمتفوقين وتنمية التفكير والإبداع، دار الكتاب

[٤] المراق، عبد الكريم وآخرون، (١٩٩٠م)، معجم علم النفس التربوي، تونس.

[٥] باهمام، على سالم عمر، (٢٠٠١م) تعديلات السكان على المظهر الخارجي لوحداتهم السكنية: حالة دراسية لمشروع الجزيرة السكني ومشروع إسكان طريق الخرج بالرياض، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، العلوم الهندسية، م١٣، ع٢، (ص ص ٢٠٩- ٢٤٣)، جدة، المملكة العربية السعودية.

[٦] طه، فرج عبد القادر، أبو النيل، محمود السيد ، قنديل، شاكر عطيه ، مصطفى، حسين عبد القادر محمد، عبد الفتاح، كامل ، معجم علم النفس والتحليل النفسي: دار النهضة العربية، بيروت، ط١، (ص ٣٥).

[٧] يسري، أحمد محمود، الحسيني، على محمد، (٢٠٠٣م)، الرجوع إلى التشكيل المتضام لتحقيق

التنمية المتواصلة بالواحات المصرية"، مجلة تقنية البناء، وزارة الشؤون البلدية والقروية، المملكة العربية السعودية، العدد الثاني، ٤٧-٥٤.

[٨] نتائج جائزة الأغاخان للعمارة لعام (٢٠٠٤م)، مجلة عمار، الكويت، الرميثية، العدد (٨٨)، ديسمبر (٢٠٠٤م)، (ص ص: ٢٢-٤١).

[٩] إعادة بناء المستوطنات الأصلية، مشروع إسكان الراس الفائز بالجائزة الأولى في مسابقة تصميم وتخطيط الإسكان التنموي"، مؤسسة الأمير عبد الله بن عبد العزيز لوالديه للإسكان التنموي، مجلة البناء- السنة الثالثة والعشرون، العدد ١٦٠، رمضان(١٤٢٤هـ)، ديسمبر(٢٠٠٣م).

[10] Arnheim, Rudolf, (1984), Visual Thinking, Univ. of California Press, Berkeley.

[11] Alexander, Christopher, Sara Ishikawa, and Silversteirs, (1977) "A Pattern Language: Towns Building, Construction", Oxford university Press, New York.

[12] Ching, Francis D. K. and Juroszek, Steven, (1997), Design Drawing, New York: Van Nostrand Reinhold.

[13] Cooper Marcus. C., and Sarkissian, W., (1986), Housing as if People Mattered, University of California Press, Berkeley, CA.

[14] Jencks, Charles, (2000), Architecture 2000 and Beyond, Success in the Art of prediction, Wiley Academy.

[15] Jon, Lang, (1987), Creating Architectural Theory, the Role of the Behavioral Sciences in Environmental Design, Van Nostrand Reinhold Company, New York.

[16] Newman, Oscar, (1972), Defensible Space, Crime Prevention Trough, Urban Design, New York, Macmillan.

[17] Stokols and Altman, (eds.), (1987), Handbook of Environmental Psychology, Wiley, New York, USA.

[18] Wallschlaeger, Charles, (1992(, Basic Visual Concepts and Principles for Artists, Architects, and Designers. USA: WCB Pub.